

Published:
August 4, 2025

The Interpretative Insights of Shaykh Abul Hasan Ali Nadwi in the Exegesis of the Holy Qur'an

إفادات الشيخ أبي الحسن علي الندوي في تفسير القرآن الكريم

Syed Mudassar Ali Gardazi

PhD Scholar, Department of Tafseer & Quranic Sciences

International Islamic University, Islamabad

E-mail: mudassar.phdtqs440@iiu.edu.pk

Dr. Shah Junaid Hashmi

Associate Professor, Department of Tafseer & Quranic Sciences

International Islamic University, Islamabad

E-mail: Shah.junaid@iiu.edu.pk

Abstract

Syed Abul Hassan Ali Nadwi is a distinguished intellectual figure in the Muslim world. Born in India, he completed his academic studies at Nadwa-tul-Ulama and Dar-ul-Uloom Deoband. He gained international recognition at a young age through his renewed book “ما ذا خسر العالم بالخطا المسلمين” (What the word lost due to Decline of Muslims), which became so influential that many institutions across the globe incorporated it into the curricula.

Syed Nadwi authored over two hundred works in Urdu, Arabic and other languages, covering a wide array of subjects including the Quran, Hadith, Seerah, Islamic history, Biographies and other critical fields of Islamic scholarship. Although he did not compose a complete tafseer (exegesis) of the Quran, his writings and sermons reflect a profound understanding of the Quran, its sciences and a deep spiritual connection with its message. The exegetical insights found in his works hold significant scholarly value.

This article seeks to collect and examine these exegetical insights and interpretation from his books and sermons, with a particular focus on highlighting his interpretative methodology. The material for this study is drawn from his published works, recorded lectures, sermons and posthumous analyses office intellectual legacy.

It is hoped that this article will shed light on Syed Abul Hasan Ali Nadwi's unique approach to Quranic interpretation and affirm his enduring contributions to Islamic scholarship. جزاء الله عن!! أحسن الجزاء. آمين

Published:
August 4, 2025

Keywords: Nadwi, Exegetical Insights, Lectures, Tafseer Methodology, Understanding of the Quran etc

1: تعريف الشيخ سيد أبو الحسن علي الندوي

هو الشيخ العلامة سيد أبو الحسن علي بن عبد الحي الحسني الندوي عالم ومفكر إسلامي بارز من الهند ولد في 6 محرم الحرام 1333هـ الموافق عام 1914م في أسرة علمية في قرية تكية كلان بمديرية رايلي اتربرديش.¹

أما والده الشيخ العلامة عبد الحي الحسني عالم جيد وصاحب مؤلفات عديدة: منها: الهند في التاريخ الإسلامي، ونزهة الخواطر، والثقافة الإسلامية وغيرها توفي الشيخ في 15 من جمادي الثانية عام 1341هـ الموافق 2 من فبراير سنة 1923م وصلت عليه بعد الجمعة.²

وأما جده الشيخ فخر الدين بن عبد العلي هو من علماء الشهير في زمنه وله مؤلفات بالفارسية والعربية منها الموسوعة الضخمة بالفارسية وله أيضا دواوين شعرية كثيرة.³

والشيخ الندوي عربي الأصل ونحيب الطرفين في النسب، وأحد أجداده هاجر من الجزيرة العربية إلى الهند وهو الشيخ الأمير السيد قطب الدين محمد المدني -رحمه الله- في أوائل القرن السابع الهجري مع جماعة من أصحابه عبر طريق بغداد كما يذكر الشيخ الندوي بنفسه:

"أول من جاء إلى الهند من أجداد هذه الأسرة هو الأمير السيد قطب الدين محمد المدني (581هـ - 677هـ) قدم إلى الهند عن طريق بغداد وغزنة في فتنة المغول في أوائل القرن السابع الهجري مع جماعة كبيرة من أصحابه"⁴
والشيخ علي الطنطاوي⁵ يقول عن الشيخ الندوي:

¹: أبو الحسن الندوي العالم المربي للدكتور محمد أكرم الندوي، دار القلم دمشق 1427هـ، (ص: 53)

²: الأعلام بمن في تاريخ الهند من الأعلام، دار ابن حزم، بيروت، 1420هـ، ج 1، (ص: 23)

³: أيضا

⁴: في مسيرة الحياة (28/1)

Published:
August 4, 2025

"فهو المعتمد المخول، وبذا جمع العلم والأدب مع الحسب والنسب ورثا هذه الأسرة الطيبة العقيدة والعلم والجهاد والدعوة عن أكابرها، ولذا لم تنزل متمسكة بعقيدة التوحيد الخالص، بعيدة عن الأعمال الشركية، متجنبية للبدع والمحدثات، مصونة من تأثير العقائد الشيعية، وكانت الدعوة إلى التوحيد واتباع السنة المطهرة شعارها الدائم وميزتها البارزة"⁶

والشيخ العلامة يوسف القرضاوي⁷ -رحمه الله- عن الشيخ الندوي وأسرته بهذه الكلمات:

"تعيش في الهند منذ قرون وتتماز بتمسكها بالشريعة الإسلامية، وبذل الجهد في نشر العلم، وخدمة الإسلام والعمل لخير المسلمين"⁸
كما يبدو من السطور السابقة أن الشيخ الندوي ولد في أسرة علمية وأدبية ودينية فلذا بدأ سفر تعليمه في وقت مبكر فحصل التعليم الابتدائي من بيته ودرس مبادئ كتب اللغة الأوردية والعربية والفارسية ثم رحل إلى مدارس شتى منها جامعة لكهنؤ ودار العلوم ندوة العلماء ودار العلوم ديوبند.

التحق الشيخ الندوي بجامعة لكهنؤ سنة عام 1927م في دراسة الأدب العربي وهو ابن أربعة عشرة عاما أو قريب منه.⁹
أما بالنسبة إلى دراسة الحديث الشريف فقرأ الصحيح البخاري ومسلم وسنن أبو داود والترمذي علي شيخ الحديث العلامة حيدر حسن خان التونكي ثم سافر إلى ديوبند سنة 1932م والتحق بدار العلوم ديوبند وحضر دروس الشيخ العلامة سيد حسين أحمد المدني - رحمه الله - فقرأ عليه صحيح البخاري و جامع الترمذي.¹⁰

ثم سافر إلى لاهور عام 1932م لحصول التعمق في دراسة تفسير القرآن الكريم وعلومه حيث كان شهرة الشيخ العلامة أحمد علي اللاهوري - رحمه الله - عامة في القرآن الكريم والتفسير وعلوم القرآن فاستفاد منه في التفسير في علوم القرآن.¹¹

⁵ هو الشيخ محمد علي الطنطاوي، وُلد في مدينة دمشق عام 1909م. في أسرة عُرِفَت بالعلم والصلاح. عمل مُعلِّمًا في مدارس سوريا والعراق، ثم التحق بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية في المملكة العربية السعودية. تُوِّفِي رحمه الله عام 1999م. له مؤلفات عديدة في مجالات الأدب والفكر والدين، من أشهرها: ذكريات، صور وخواطر، وإلى أرض النبوة. (هذا التعريف مأخوذ من مقدمة كتبه).
⁶ في مسيرة الحياة (6/1)

⁷ هو الشيخ العالم الشهير يوسف القرضاوي وُلد عام 1926م بمصر، وحفظ القرآن قبل سن العاشرة، وتخرج من الأزهر الشريف، ونال الدكتوراه في أصول الدين عام 1973م. تولى مناصب تعليمية وإدارية بارزة في مصر وقطر، وأسّس كلية الشريعة بجامعة قطر. له مؤلفات عديدة في الفقه والفكر الإسلامي، مع بعض المخاضات عليه في باب الحديث والفقه. هذا التعريف مأخوذ من مقدمة كتبه).

⁸ الشيخ أبو الحسن كما عرفته، د. يوسف القرضاوي، دار القلم دمشق، 1422هـ، (ص: 32)

⁹ منهج الشيخ أبي الحسن الندوي وجهوده في الدعوة إلى الله، عبد الله محمد تسليم، رسالة لنيل درجة ماجستير في الدعوة الإسلامية، جامعة أم القرى المملكة العربية السعودية، 1433هـ، (ص: 61-62)

¹⁰ منهج الشيخ أبي الحسن الندوي وجهوده في الدعوة إلى الله، عبد الله محمد تسليم، (ص: 61-62)

Published:
August 4, 2025

أساتذته: كما مر في السابق أن الشيخ العلامة الندوي تعلم من الأساتذة الكبار والشهير في الهند وخارج الهند فمنهم:

1: فضيلة الشيخ خليل بن مُجَّد اليماني: هو الشيخ خليل بن مُجَّد اليماني -رحمه الله- (1304هـ/1886م - 1386هـ/1966م) عالم كبير عربي الأصل وُلد في بهوبال ودرس في ندوة العلماء حيث خدم اللغة العربية والدعوة الإسلامية قرابة أربعة عقود. عُرف باخلاصه، وتواضعه وابتكاره في تعليم اللغة وله أثر بالغ في نشر الأدب العربي في الهند.¹² من أبرز أساتذة الشيخ سيد أبي الحسن علي الندوي، ومن أول أساتذة الشيخ الندوي درس منه اللغة العربية الابتدائية وقواعد الصرف وكذلك بعض أمهات الكتب العربية منهم: ومقامات الحريري والحماسة والقصائد العشر ودلائل الإعجاز للجرجاني وغيرها. فالشيخ اليماني ترك أثرا طيبا على حياة الشيخ الندوي كما يقول عنه:

" لقد كان الشيخ فريدا لا يوجد له مثيل في تعليمه للطلاب بذوقه ورأيه، فكان يملك صلاحية غريبة مدحشة في صبغ الطلاب بأفكاره وآرائه، بحيث تغلغل في أحشائهم، وتترج بلحومهم ودمائهم، ونفخ الروح في الكتاب الذي يدرسه، وإنشاء الذوق الصحيح والملئكة الصالحة في الفن الذي يتناوله، وتقريب الطلاب إلى مؤلف الكتاب ذوقا ومسلكا ومشربا، لقد كان نادرة في هذا الأمر. لا يوجد مثله في الآلاف إلا الواحد بعد الواحد من الأساتذة البارعين وأصحاب النبوغ الماهرين، وهي ملكة موهوبة وليست بمكتبة، لقد شاهدت في الشيخ ملكة عجيبة في التدقيق الصحيح للعربية وآدابها ولغتها."¹³

فمن هذه الكلمات التي كتبها الشيخ الندوي عن أستاذه يتضح مدى تأثره واحترامه في قلبه بأستاذه.

2: دكتور تقي الدين الهلالي: هو الشيخ الدكتور مُجَّد تقي الدين الهلالي المغربي -رحمه الله- (1407هـ) من مراكش عالم محدث أديب وشاعر ومن أحد علماء الكبار في عصره وأستاذ الأدب واللغة العربية في لكهنؤ. تخصص الشيخ الندوي علي يد الشيخ الهلالي في ندوة العلماء عام 1930م وتأثر منه كما يقول عنه:

¹¹: أبو الحسن الندوي الإمام المفكر الداعية المربي الأديب الغوري ص: 163.

¹²: نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر، لعبد العلي بن فخر الدين بن عبد العلي الحسيني الطالبي، دار ابن حزم - بيروت، لبنان، 1999م،

8/1221.

¹³: في مسيرة الحياة (78/1). ميرے مطالعہ قرآن کی سرگزشت سید ندوی، مجلس تحقیقات ونشریات اسلام لكهنؤ، 2017، (ص: 9-10)

Published:
August 4, 2025

"والواقع أن العمل الذي بدأ به الشيخ خليل من نشر الطرق الصحيحة لتعليم العربية وإنشاء ذوقها وملكتها، قد بلغ كماله على يد الأستاذ الهاللي، وقد استفدت منه كثيرا في غير نظام، فكنت أحضر يوميا، وانتفعت بصحبته ومجالسته، ولقد قرأت عليه ديوان النابعة بنظام، وقيدت فوائده ونكته، وكان يعطف علي بصفة خاصة لأجل العلاقة بأخي الأكبر والشيخ خليل.¹⁴"

3: الشيخ حيدر حسن خان التونكي: هو الشيخ العلامة المحدث حيدر حسن خان التونكي أو الطوكي (1281هـ/1864م – 1361هـ/1942م) عالم رباني أفغاني الأصل وُلد في بلدة طوك ومن أبرز علماء الحديث بدار العلوم ندوة العلماء لكهنأؤ ودّرس في دار العلوم ندوة العلماء نحو سبعة عشر عاماً، تولّى خلالها أيضاً نظارتها، وتميّز بزهده، وتضلعه في العلوم الشرعية والعقلية، ومنهجه العلمي الحديثي. له مشاركة محدودة في التأليف، وتوفي بطوك ودُفن في مقبرة موتي باغ.¹⁵ قرأ عليه الشيخ الندوي بعض كتب الحديث الشريف من الصحيح البخاري وكتاب الجهاد من صحيح مسلم ولازمه سنتين فقرأ عليه سنن أبي داؤد وسنن الترمذي كاملا وشيئا من التفسير البيضاوي وتأثر منه كثيرا كما يقول عنه:

"انخرطت في سلك الطلاب الندويين لدروس الحديث الشريف التي كان يلقيها شيخ الحديث العلامة الشيخ حيدر حسن خان التونكي بدار العلوم ندوة العلماء، وقد قرأت على الشيخ الصحيحين البخاري ومسلم، وسنن أبي داؤد، وسنن الترمذي حرفا حرفا وقرأت عليه شيئا من تفسير البيضاوي.¹⁶"

4: سيد حسين أحمد المدني: هو الشيخ العلامة سيد حسين أحمد المدني (1296هـ/1879م – 1377هـ/1957م) الشهير بشيخ الإسلام وشيخ العرب والعجم ورئيس علماء الهند وشيخ الحديث في دار العلوم ديوبند، وُلد في بانكر مئو وتعلّم في دارالعلوم ديوبند، ولازم الشيخ محمود حسن، وشُجن معه في مالطا ثلاث سنوات. تولّى شياخة الحديث في ديوبند، وكان من كبار قادة النضال ضد الاستعمار البريطاني ومعارض تقسيم الهند. جمع بين العلم والسياسة والتربية، وغُرف بورعه، زهده، وقوة شخصيته،

¹⁴: في مسيرة الحياة (78/1)

¹⁵: نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر، لعبد الحى بن فخر الدين بن عبد العلي الحسنى الطالبي، دار ابن حزم - بيروت، لبنان، 1999م،

1218/8

¹⁶: في مسيرة الحياة (94/1)

Published:
August 4, 2025

وُوفي سنة 1377هـ ودفن بجوار أستاذه.¹⁷ أقام الشيخ الندوي عند الشيخ سيد حسين أحمد المدني في دار العلوم ديوبند في عام 1932م عدة أشهر وحضر في دروسه من الصحيح البخاري وسنن الترمذي وكذلك استفاد منه في التفسير وعلوم القرآن وتأثر من شخصيته ومعرفته وسياسته وتبحر علمه كما يقول عنه:

"وكانت تغشي دار الحديث غاشية من الدين وسحابة من الروحانية، ولا يزال يرن في أذني صوت الشيخ العذب الرنان، ولحنه العربي الجميل".¹⁸

5: الشيخ العلامة أحمد علي اللاهوري: هو الشيخ العلامة أحمد علي اللاهوري من علماء الكبار في الهند يلقبه أتباعه بشيخ التفسير كان عالماً جيداً في التفسير والحديث. لازمه الشيخ الندوي في لاهور ودرس التفسير لكامل القرآن الكريم حسب منهجه الخاص حيث كان مشهوراً به عام 1351هـ الموافق 1931م واستفاد منه كثيراً في التفسير وعلوم القرآن كما يقول:

"سافرت إلى لاهور بين عام 1930م و1931م مرتين للاستفادة من الشيخ الجليل أحمد علي اللاهوري وقرأت عليه بداية سورة البقرة وفي العام القادم قدمت إلى لاهور لحضور دروس الشيخ في كتاب "حجة البالغة" وحضرت فيها، واشتركت في الإمتحان".¹⁹

تلاميذه: أما من تلاميذه هناك عديد من تلاميذه الذين يخدمون في الهند وباكستان وبلاد أخرى سأحاول أن أذكر بعضاً من المشهورين فقط:

1: سيد محمد رابع الحسيني الندوي: فضيلة الشيخ محمد رابع الحسيني الندوي هو ابن أخت الشيخ سيد أبو الحسن علي الندوي وخليفته صاحب مؤلفات كثيرة ورئيس دار العلوم ندوة العلماء. كثيراً من مؤلفات الشيخ سيد أبو الحسن علي الندوي نشرت باهتمامه وبحقيقته.

2: محمد واضح رشيد الحسيني الندوي: الشيخ العلامة محمد واضح رشيد الحسيني الندوي هو أيضاً ابن أخت الشيخ الندوي والأخ الأصغر لفضيلة الشيخ سيد محمد رابع الحسيني الندوي ومن أخص التلاميذ الشيخ سيد أبو الحسن علي الندوي وكان له ملكة خاصة

¹⁷: (نزهة الخواطر 1214/8)

¹⁸: منبج الشيخ أبي الحسن الندوي وجهوده في الدعوة إلى الله، عبد الله محمد تسليم، (ص: 53)

¹⁹: في مسيرة الحياة (105/1)

Published:
August 4, 2025

في الأدب العربي وحريص في تعليم الطلاب وتربيتهم ويساعد لأخيه محمد رابع الحسني في أمور المدرسة والانتظامي ونشر كتب الشيخ سيد أبي الحسن علي الندوي.

3: محمد شهاب الدين الندوي: الشيخ محمد شهاب الدين الندوي من أجل التلاميذ الشيخ سيد أبي الحسن علي الندوي ودرس ودرس في ندوة العلماء وكان له علاقة خاصة بالقرآن الكريم وتفسيره خاصة بأبحاثه ومقالاته حول إعجاز القرآن الكريم والكون والفلسفة مشهورة بين طلاب العلم والعلماء.

4: الدكتور تقي الدين الندوي: الشيخ العالم الكبير والمحدث العظيم فضيلة الدكتور تقي الدين الندوي يعد من طلابه الكبار والمشهورين. درس العلوم الشرعية في مدارس بلده أتر برديش الهند و جامعة مظاهر العلوم سهارنפור ثم التحق بدارالعلوم ندوة العلماء لكهنؤ فلازم الشيخ الندوي واستفاد منه ثم رحل إلى جامعة الأزهر الشريف وحصل شهادة الدكتوراة في الحديث الشريف وعلومه.²⁰

5: دكتور مصطفى سليمان الندوي: فضيلة الشيخ مصطفى سليمان الندوي من مصر وهو عالم محقق وصاحب تصنيفات رحل من مصر إلى الهند والتحق بدار العلوم ندوة العلماء وتلقى عن الشيخ سيد أبي الحسن علي الندوي مباشرة وقرأ عليه بعض كتب الحديث الشريف ولازمه واستفاد منه ثم رجع إلى مصر.²¹

لقد تولى الشيخ في حياته العديد من المناصب في ميادين العلم والتنظيم وأسهم من خلالها إسهاماً عظيماً في خدمة الدين والأمة الإسلامية. وقد حظى بتقدير واسع النطاق على جهوده المباركة حيث نال عدداً من الجوائز والتكريمات من مؤسسات وهيئات وطنية وعلمية مما يعكس مكانته العلمية في العالم الإسلامي.

في اليوم الجمعة، آخر أيام سنة 1999م، وفي العشر الآواخر من شهر رمضان المبارك، انتقل إلى رحمة الله جل وعلى العلامة الشيخ سيد أبو الحسن علي الندوي رحمه الله وقد وافته المنية وهو يقرأ سورة الكهف مستعداً لصلاة الجمعة. ودُفن في مقبرة "دائرة كلان" بجوار والديه وأكابر أسرته.²²

إنّا لله وإنّا إليه راجعون.

²⁰: أبو الحسن الندوي الأمام المفكر، (ص: 909)

²¹: أنظر أبو الحسن الندوي الأمام المفكر، (ص: 909)

²²: منبج الشيخ أبي الحسن الندوي وجهوده في الدعوة إلى الله، عبد الله محمد تسليم، (ص: 76-77)

Published:
August 4, 2025

إفاداته في تفسير القرآن الكريم:

ومّا يتجلّى من سيرته العلميّة أن الشيخ سيّد أبو الحسن علي الندوي رحمه الله ألف في معظم الموضوعات المهمّة في الفكر الإسلامي، غير أنّه لما كان المقام يقتضي تسليط الضوء على جهوده في مجال تفسير القرآن الكريم، فسأحاول في ما يلي إبراز أبرز إسهاماته وخدماته في هذا الحقل الجليل.

لم يكن للشيخ سيّد أبو الحسن علي الندوي رحمه الله تأليف مستقل خاص على هيئة تفسير كامل للقرآن الكريم، كما أنه لم يكتب تفسيراً تقليدياً للكتاب العزيز، إلّا أنّ له مؤلفات ومحاضرات متعددة تناولت موضوعات تفسيرية في مناسبات شتى، تتمّ عن عمق فهمه لكتاب الله تعالى وعنايته به. ومن أبرز هذه المؤلفات: تأملات في القرآن الكريم وتأملات في سورة الشعراء والصّراع بين الإيمان والمادية (تأملات في سورة الشعراء) والنبوة والأنبياء في ضوء القرآن ودعوة إلى الله في أسلوب سيدنا يوسف عليه السلام في ضوء سورة يوسف وغيرها من المؤلفات كما أن له محاضرات علميّة عديدة في موضوع التفسير الموضوعي، تُظهر اهتمامه بهذا المنهج التفسيري الحديث.

وفيما يلي نعزّ نماذج من مؤلفاته وخطبه التي تبين علاقته الوطيدة بالقرآن الكريم وفهمه العميق للتفسير:

1: يقول الشيخ في تأليفه "تأملات في القرآن الكريم" عن سورة الفاتحة إنّها سورة فريدة ويتضح جلالها وجامعيتها وتأثيرها في حياة الإنسان والمجتمع. أولاً بين مكانة السورة الفاتحة وبيّن أنّها الفريدة في المعجزات فيستدل على أنّها لو أنّ أذكّاء العالم وزعماء الروحانية وعلماء النفس والإصلاح والشعراء وغيرها من أهل الفن والعلم اجتمعوا ليضعوا صيغة يتفق عليها أفراد البشر ليتعبدوا بها ربحهم تعبر عن ضمائرهم ومشاعرهم وتفي بحاجاتهم لما جاؤا بمثل الفاتحة كما يقول:

"تأمل في سورة الفاتحة، التي هي الدرة الفريدة في المعجزات السماوية، وقطعة رائعة من القطع القرآنية البيانية، لو اجتمع أذكّاء العالم وأدباء الأمم، وعلماء النفس وقادة الإصلاح وزعماء الروحانية، على أن يضعوا صيغة يتفق عليها أفراد البشر على اختلاف طبقاتهم، وعلى تنوع حاجاتهم، وعلى تشبّت خواطرهم يتقدمون بها أمام ربهم، ويتعبدون بها في صلواتهم، تُعبر عن ضمائرهم ومشاعرهم وتفي بحاجاتهم وأغراضهم، لما جاؤوا بأحسن منها: (قُلْ لَئِنْ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ

Published:
August 4, 2025

يُمْلِئُهُ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا²³ وقد قال الله تعالى: (وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ)²⁴،²⁵

ثمَّ يعتمد الشيخ بعد ذلك إلى التعليق على كلمات السورة كلمة كلمة، فيشرح الألفاظ، ويستخرج من خلالها النكات اللغوية والمعاني العلمية الدقيقة، مستزيداً بفهمه العميق للنص القرآني وروحه ومثال ذلك ما قاله في معرض تفسيره: "وهكذا يعلن المسلم وحدتين، هما الدعامتان الأساسيتان اللتان يقوم عليهما الأمن والإسلام، وعليهما تأسس الإسلام في كل زمان ومكان، وهما وحدة الربوبية ووحدة البشرية." ويعزز الشيخ هذا الفهم ويؤصّله بالإستشهاد بالآيات القرآنية والأحاديث النبوية، حيث يقول:

"وقد أفتتحت بالحمد وهي الكلمة الجامعة بين الشكر والثناء ومن الكلمات البليغة المعجزة التي لا يمكن ترجمتها في لسان آخر ثم يقرر المصلي أن الرب الذي يحمده ويقوم يستعين به ويعبده هو ليس رب قبيلة أو شعب، أو أسرة أو فصيلة أو بلد ووطن إنما هو رب العالمين، العقيدة الغربية النائرة. وهكذا يعلن المسلم وحدتين وهما الدعامتان اللتان يقوم عليهما الأمن والسلام وعليهما قام الإسلام في كل زمان ومكان وهما وحدة الربوبية، والوحدة البشرية وحدة نسل بني آدم من غير فرق بين بلد ووطن أو لون أو دم"²⁶ ويؤكد الشيخ هذا المفهوم ويستدلّ عليه بالنقل والعقل معاً، جامعاً بين النصوص الشرعية والتحليل الفكري، كما يقول:

"فالإنسان أخو الإنسان من جهتين، والإنسان أخو الإنسان مرتين، مرة -وهي الأساس- لأن الرب واحد، ومرة ثانية لأن الأب واحد: ((يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا))²⁷، ((يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ)²⁸ وفي شرحه وتطبيقه يقول رسول الله ﷺ في حجة الوداع: "يَا أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّ اللَّهَ قَدْ أَذْهَبَ عَنْكُمْ عُبْيَةَ الْجَاهِلِيَّةِ وَتَعَاطَمَهَا بِأَبَائِهَا، فَالنَّاسُ رِجَالٌ: بَرٌّ تَقِيَّ كَرِيمٌ عَلَى اللَّهِ، وَفَاجِرٌ شَقِيٌّ هَيْنَ عَلَى اللَّهِ، وَالنَّاسُ بَنُو آدَمَ،

²³ سورة بني إسرائيل، آية: 88

²⁴ سورة الحجر، آية: 87

²⁵ تأملات في القرآن الكريم، سيد أبو الحسن علي الندوي، دارالقلم دمشق 1991م، (ص: 9)

²⁶ أيضاً

²⁷ سورة النساء، آية: 1

²⁸ سورة الحجرات، آية: 13

Published:
August 4, 2025

وَلَخَلَقَ اللَّهُ آدَمَ مِنْ تُرَابٍ، لَا فَضْلَ لِعَزِيٍّ عَلَى عَجْمِيٍّ، وَلَا لِعَجْمِيٍّ عَلَى عَزِيٍّ، وَلَا لِأَحْمَرَ عَلَى أَسْوَدَ، وَلَا أَسْوَدَ عَلَى أَحْمَرَ، إِلَّا بِالتَّقْوَى^{29، 30}

ثم يفسر الشيخ الندوي رحمه الله قوله تعالى "إياك نعبد وإياك نستعين" مبيناً أنّ المؤمن يعلن من خلالها إخلاص العبادة لله وحده، وتعلّق قلبه واستعانه به دون سواه، وأن الحياة بأسرها تدور حول محورين رئيسين: عبادة الله جلّ وعلى والاستعانة به سبحانه في كل شأن من شؤون الحياة.

ثم ينتقل إلى بيان دلالة كلمتي "المغضوب عليهم" و "الضّالّين" مشيراً إلى أنّهما تحملان بُعداً اعجازياً في التعبير القرآني، ودليلاً ناطقاً على صدق رسالة النبي الأمي ﷺ وأن هذا الكلام لا يمكن أن يصدر إلّا عن وحي منزل من الله عزّ وجلّ، حيث يقول:

"وهنا يتجلى إعجاز القرآن، وإنّي اعتقد أنّ الكلمة الواحدة التي جاءت في القرآن الكريم، تصف أبناء المسيحية، تكفي سبباً في إيمان دارس منصف بالقرآن وإعجازه، وأنه يصدق النبي الأمي الذي نزل عليه، وكونه منزلاً من عند الله عز وجل. ما أروع الحقيقة التاريخية التي نطق بها القرآن الكريم علي لسان أمي ولد في الصحراء وعاش فيها، والتي يصدقها التاريخ في أدب جم، وفي خضوع وانقياد واستسلام ويدهش المؤرخون عندما يفكرون في مدى صدق هذا التعبير: كلمة "الضلالة".³¹

ثم يشير إلى أنّ الله تبارك وتعالى اختار هذه المصطلحات ليكون لها دلالة خاصة، تميز اليهود بأنهم "المغضوب عليهم" بسبب تحريفهم للدين وعدم اتباعهم لتعاليمه، والنصارى بأنهم "الضّالّين" لأنهم انحرفوا عن التوحيد الحقيقي والمسار الذي وضعه المسيح عليه السلام مع هذا يبين أنّ هذه الاختيارات اللغوية في هذه السورة تحمل رسالة عميقة تؤكد أنه وحي إلهي ودليل على إرادة الله في تمييز بين الأمم والديانات وتوجيه البشر إلى الطريق الصحيح كما يقول:

"إنّ هذه الكلمات وحدها تكفي دلالة على كون القرآن الكريم منزلاً من الله عز وجل، وكونه وحياً إلهياً، حيث كان بالإمكان أن نستخدم للمسيحيين عشرات من كلمات اللغة العربية فقد كانت من سعتها بالمكان الذي كان بالإمكان فيه أن نستخدم خمسون

²⁹: شعب الإيمان للبهقي، مكتبة الرشد للنشر والتوزيع بالرياض 2003، فَضْلٌ، وَمِمَّا يَجِبُ حِفْظُ اللِّسَانِ مِنْهُ الْفُخْرُ بِالْأَبَاءِ، (132/1) رقم الحديث:

4774 والترمذي دار الغرب الإسلامي - بيروت 1998، بَابُ: وَمِنْ سُورَةِ الْحُجُرَاتِ، (240/5)

³⁰: تأملات في القرآن الكريم، (ص: 10)

³¹: المرجع السابق (ص: 12)

Published:
August 4, 2025

كلمة تؤدي هذا المعنى، وكان بالإمكان أن تنطبق جميعا على المسيحيين. غير أن الله أراد فرقا واضحا مكشوفاً بينهم وبين اليهود إذ أطلق على اليهود "المغضوب عليهم" وعلى النصاري "الضالين"³²

2: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ. أَيَّامًا مَعْدُودَاتٍ فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ فَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ وَأَنْ تَصُومُوا خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ. شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ وَمَنْ كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ).³³

وفي ذيل هذه الآيات الشيخ العلامة الندوي يبدأ بتقديم نقطة مثيرة للاهتمام حيث يسأل لماذا الصوم؟ فيبين أنه ليس مجرد حاجز يحول دون شهوات الإنسان فحسب، ولكنه يمتاز بأنه يخاطب الإيمان، والعقيدة، والضمير، والعقل، والقلب والعاطفة في آن واحد ومعها يبرز أن آيات الصوم في القرآن الكريم تعمل على إحياء وتغذية جميع هذه الجوانب الروحية والعقلية في الإنسان. ويستمر في شرح مسوغات وفضائل تشريع الصوم، وما يريجه المؤمن من ربه إذا أدين بهذا التشريع. كذلك يوضح خصائص الصوم وأحكامه، ويبين حكمة تخصيص شهر رمضان بالصوم كما يشير إلى أن رمضان هو الشهر الذي نزل فيه القرآن الكريم، ويوضح أنه لذلك حُسِّنَ أن يقرن الصوم بشهر رمضان، كما يقتزن طلوع الفجر بالصوم كل يوم. ويلقي الضوء على الأسباب العميقة والفوائد الروحية والشرعية لتشريع الصوم في الإسلام، وكيف يعمل على تحفيز وتقوية الإيمان والروح والعقل للمؤمنين كما يقول:

"هي آيات من سورة البقرة تدور حول فريضة الصيام، هذه هي الآيات الأولى التي عرف المسلمون بها وجوب الصيام في رمضان، والصوم شاق على النفس لأنه حرمان من الطعام والشراب والشهوات في مدة محدودة، فما كان أجدرهم بأن يستقلوا هذا التشريع وأن يستقلوا هذه الآيات التي نزل به."³⁴

وبعده يقول:

³²: أيضا ص: 13

³³: سورة البقرة، آية: 183-185

³⁴: تأملات في القرآن الكريم، (ص: 17)

Published:
August 4, 2025

"إن هذه الآيات تخاطب الإيمان والعقيدة والعقل والضمير والقلب والعاطفة في وقت واحد وتثير كل ذلك وتغذي كل ذلك وهكذا تهيء الجو لقبول هذا التشريع وإساغته بل للترحيب به واستقباله بنشاط وحماس، إنها آية في الإعجاز، آية في فقه الدعوة، آية في علم النفس، آية في التشريع الحكيم: تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ".³⁵

ثم يبين الشيخ علاقة الصيام بشهر رمضان والصلة الوثيقة بين هذا الشهر المبارك والقرآن الكريم حيث يقول:
وجعل الله الصوم في رمضان، فجعل أحدهما مقرونا بالآخر، مرتبطا به، فلذلك قران السعدين، والتقاء السعادتين في حكمة التشريع، وذلك لأن رمضان قد أنزل فيه القرآن، فكان مطلع الصبح الصادق في ليل الإنسانية الغاسق، فحسن أن يقرن هذا الشهر بالصوم، كما يقترن طلوع صبح الصادق بالصوم كل يوم، وكان أحق شهور الله - بما خصه الله من يمن وسعادة وبركة ورحمة، وبما بينه وبين القلوب الإنسانية السليمة من صلة خفية روحية- بأن يصام نهاره ويُقام ليله".³⁶

ثم يُعزِّز الشيخ هذا المعنى ويستدلّ عليه بالأحاديث النبوية الشريفة ومثال ذلك قوله:
"وبين الصوم والقرآن صلة متينة عميقة ولذلك كان رسول الله ﷺ يُكثر من القرآن في رمضان يقول ابن عباس رضي الله عنهما: كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَجْوَدَ النَّاسِ بِالْحَيْثِ، وَأَجْوَدَ مَا يَكُونُ فِي شَهْرِ رَمَضَانَ، لِأَنَّ جِبْرِيلَ كَانَ يَلْقَاهُ فِي كُلِّ لَيْلَةٍ فِي شَهْرِ رَمَضَانَ، حَتَّى يَنْسَلِخَ يَغْرِضُ عَلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْقُرْآنَ، فَإِذَا لَقِيَهُ جِبْرِيلُ كَانَ أَجْوَدَ بِالْحَيْثِ مِنَ الرِّيحِ الْمُرْسَلَةِ"³⁷
ويقول أيضاً مُعبِّراً عن هذا المعنى بأسلوبه المميز:

"لقد علم الجميع أن الإمساك عن الطعام في بعض الأيام مفيد للصحة، وخير للمرء أن يصوم مرارا في كل عام وآمن الناس بفوائد الصوم الطبية، وآمنوا بأنه ضرورة صحية، وآمنوا كذلك بفوائد الصوم الاقتصادية ثم ننظر أن الصوم فريضة دينية، وقد وعد الله عليه بثوابه ورضاه، وتكفل بجزائه فنرى أن هذا العدد عدد ضخم لا يقل عن ملايين وأن هؤلاء الملايين من النفوس لا يمنعهم الحر الشديد

³⁵: تأملات في القرآن الكريم، (ص: 18)

³⁶: تأملات في القرآن الكريم، (ص: 20-21)

³⁷: صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل البخاري، دار طوق النجاة بيروت، 1422، بَابُ كَانَ جِبْرِيلُ يَغْرِضُ الْقُرْآنَ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (6)

Published:
August 4, 2025

في الأقاليم الحارة من أن يصوموا في النهار، ويقوموا في الليل، لأن الإيمان بالمنافع الدينية التي أخبر بها الأنبياء عند أهل الإيمان أقوى من الإيمان بالمنافع الطبية التي أخبر بها الأطباء، ومن الإيمان بالمنافع الاقتصادية التي لهج بها الإقتصاديون.³⁸

3: (الحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَاتٌ فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ حَجٍّ يَعْلَمُهُ اللَّهُ وَتَزُودُوا فَإِنَّ حَجَّ الزَّادِ التَّقْوَى وَاتَّقُوا بَأُولَى الْأَبْوابِ)³⁹

وفي ذيل هذه الآية الكريمة يتوقف الشيخ الندوي -رحمه الله- تشريعي الحج والصيام فيبين بعض حكمهما وأحكامهما في ضوء القرآن الكريم، ويقدم رؤية شاملة تجمع بين هذين الركنتين العظيمين من أركان الإسلام، مبرزاً أوجه الشبه والارتباط بينهما. كما يوضح أهمية كلٍ منهما في ترسيخ الروابط الروحية والاجتماعية والتربوية بين المسلمين. ويمكن تلخيص ما ذكره في النقاط الآتية:

- 1- يُعَدُّ كلٌّ من الصوم والحج موسماً مباركاً، وريباً للقلوب والأرواح والإيمان والأخلاق، تجمع بينهما رابطة الطاعة والمحبة لله تعالى.
- 2- يمتاز الصوم بتعظيم الزمان، إذ يقع في شهر رمضان المبارك، في حين يجمع الحج بين فضل الزمان وحرمة المكان.
- 3- الصوم يتضمن هجرة الإنسان عن الأكل والشرب والشهوات ليصوم ويرضي ربه ويعصي نفسه والحج يتضمن هجرته عن وطنه وأهله وسكنه وراحته ويعصي نفسه ليحج ويرضي ربه.
- 4- في كلٍّ من الصوم والحج، تتجلى معاني الزهد والصبر والإيثار والهجرة المعنوية.
- 5- الصائم يمارس الإمساك عن الطعام والشراب تحاشاً، ويسعى بين الإمساك والإفطار، كما يؤدي طَوْفاً حول بيت الله في مكة. أما الحاج، فيقوم بسعي بين الصفا والمروة، وبين منى وعرفات، ويؤدي أيضاً طَوْفاً حول بيت الله في مكة، حيث يتمثل هذا في الجهد الروحي والجسدي المكثف لتحقيق التقرب إلى الله وأداء الفريضة بإخلاص وتفانٍ.
- 6- لكلٍّ من الصوم والحج عيدٌ، وتَهْنِئَةٌ، كما أنَّ لكلٍّ منهما فديةٌ عند وجود عذرٍ.
- 7- ومن أحكام الصوم في الإسلام، منع الله تعالى عن الصائم الغيبة والقول الزور والخصام كذلك في الحج فالحج أشهر معلومات، ومن فرض فيهن الحج فلا رفث ولا فسوق ولا جدال في الحج.
- 8- كلاهما يبرزان إعجاز التنزيل والتشريع، فالصوم يعلم التحكم في النفس والتقرب إلى الله تعالى، والحج يجسّد التواضع والتسامح، ويعزز وحدة المسلمين ويعلمهم قيم الصبر والإيثار.

³⁸ تأملات في القرآن الكريم، (ص: 24-25)

³⁹ سورة البقرة، آية: 197

Published:
August 4, 2025

9- حثَّ على التزود للقيام بالحج في حالة من العفة والنزاهة، مع التركيز على التزود للآخرة من خلال زيادة الأعمال الصالحة والعبادات كما قال تعالى: "وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَىٰ وَاتَّقُونِ يَا أُولِيَ الْأَلْبَابِ"⁴⁰ كتوجيه للمسلمين للتحضير الروحي والمعنوي لأداء الحج بتقوى وورع. وأما في الصوم يتمثل التزود في التسحر حيث قال النبي عليه السلام: " تَسَحَّرُوا فَإِنَّ فِي السَّحُورِ بَرَكَهً "⁴¹

10- في كليهما، يشمل الطاعات العديد من الأعمال الصالحة مثل الإنفاق، والمواساة، والرحمة، وخدمة الآخرين، والبر بالوالدين، وإعطاء الصدقات، وتسبيح الله، وتلاوة القرآن الكريم.⁴² وفي هذه اللحظات الدقيقة، ومن خلال هذه التفاصيل العميقة، ربط الشيخ بين موسمي الصيام والحج، اللذين ورد ذكرهما في الآيات المتتالية من سورة البقرة، كاشفاً عن حِكَمٍ ولطائف وروابط لا يدركها إلا أهل العلم والبصيرة.

4: (الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا)⁴³

وفي ذيل هذه الآية يبين أن الله تعالى منَّ على المسلمين بنعمة عظيمة جليلة بإكمال هذا الدين وختم النبوة والرسالة، مما يعد من أكبر النعم التي أنعم الله بها على الإنسانية. هذا الإكمال يشكل ضماناً كبيراً للحفاظ على الشريعة الإسلامية وصيانتها، ولوحدة الأمة الإسلامية واجتماع كلمتها على أساس مشترك. وقد لم تُمَنَّ على أي أمة من الأمم بنعمة كهذه النعمة الجليلة، التي تمثل إكمال الدين وختم النبوة بالنبي مُحَمَّد ﷺ. وقد قال عالم يهودي متحسراً على عدم إدراك اليهود لهذه النعمة لأمر المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه: (آيَةٌ فِي كِتَابِكُمْ تَقْرَءُونَهَا، لَوْ عَلَيْنَا مَعْشَرَ الْيَهُودِ نَزَلَتْ، لَأَخَذْنَا ذَلِكَ الْيَوْمَ عَيْدًا)⁴⁴،

ثم يشير الشيخ الندوي في ذيل هذه الآية إلى نقطة بسيطة وبلغة تظهر في عبارة النص حيث يقول:

⁴⁰ سورة البقرة، آية: 197

⁴¹ الجامع الكبير - سنن الترمذي لمحمد بن عيسى، الترمذي، 279هـ، دار الغرب الإسلامي - بيروت، 1998 م، (80/2)، بَابُ مَا جَاءَ فِي فَضْلِ السَّحُورِ

⁴² تأملات في القرآن الكريم، (ص: 27-30)

⁴³ سورة المائدة، آية: 3

⁴⁴ صحيح البخاري، محمد بن اسماعيل البخاري، (18/1)، بَابُ زِيَادَةِ الْإِيمَانِ وَتُقْصَانِهِ، ح: 45.

⁴⁵ تأملات في القرآن الكريم، (ص: 34-36)

Published:
August 4, 2025

"وقد نص القرآن الكريم على كونهم (يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا)⁴⁶ ولكنه لم يذكر في أي موضع من كتابه: يخرجون من دين الله أفراداً، فضلاً عن أن يذكر فيه عن هذه النفوس المؤمنة الطيبة أنهم يخرجون من دين الله أفواجا، من ذلك يُعلم أن قصة إرتداد الصحابة رضي الله عنهم جميعاً إلا فلانا وفلانا، ليس إلا قصة أملاها الشيطان وسوّلتها النفوس المريضة.⁴⁷

والآية يدعوننا إلى الالتزام بحدود الله تعالى والتمسك بشريعته في كل جوانب الحياة، بما في ذلك الأخلاق، والمجتمع، والقانون والحضارة مع التمسك بالعقائد حيث يقول:

"إِنْ قَوْلُهُ تَعَالَى " أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي " يقتضي منا أيضاً أن نقف عند حدود الله تعالى، ونتمسك بشريعته في الأخلاق والإجتماع والمدنية والحضارة، فضلاً عن المعتقدات والعبادات، ونحصر أنفسنا في دائرة التعاليم الإسلامية والقيادة القرآنية، وخطوطها ومعالها الواضحة، ولا يجوز لنا أن نحكي الغرب اجتماعيا وحضاريا ومدنيا، وأن نكون ظالماً ملازماً له، فقد رزقنا الله تعالى مع الأسس والمعتقدات والمبادئ نظاماً كاملاً مستقلاً للمعاملات، وحضارة متميزة فريدة، ومدنية صالحة مستقيمة، يجب أن تتمثل بها تمثيلاً صادقاً"⁴⁸

وفي موضع آخر، يشير الشيخ الندوي إلى جانب آخر في تفسير هذه الآية، فيقول إنها تدل بوضوح على أن الإسلام هو الدين الخاتم والأبدي، الذي اصطفاه الله ليكون هدايةً للناس كافة إلى يوم القيامة. ويبين أن الله سبحانه وتعالى قد ضمن لهذا الدين الحفظ من التحريف والتبديل، ليبقى نقيّاً وصالحاً لكل زمان ومكان. كما يؤكد أن هذه الحقيقة لم تكن خافية على علماء اليهود والنصارى، إذ أدركوا أن الإسلام قد اختصّ بهذه الميزة العظيمة، وأن هذه الآية تحمل شهادة واضحة على كمال هذا الدين وخلوده حيث يقول:

وقد نزلت هذه الآية يوم عرفه فيها حجة الوداع سنة عشره الهجرة ولم ينزل بعدها كما تقول أكثر الآثار -حلال ولا حرام- ولم يعيش رسول الله ﷺ بعد هذا اليوم إلا إحدى وثمانين ليلة. وفهم علماء اليهود الأذكى الذين كانوا من اعرف الناس بالعلم القديم وتاريخ الديانات أنها كرامة خص بها المسلمون، ومفخرة لهذا الدين، لا يشاركه فيها دين آخر ورأوا أن اليوم الذي نزلت فيه هذه الآية جدير بأن يخلّد ويحتفل به على مر العصور وييدي فيه المسلمون سرورهم وإمتنانهم. وهكذا فهم رسول الله ﷺ وهو الذي نزلت عليه هذه

⁴⁶: سورة النصر، آية: 2

⁴⁷: تأملات في القرآن الكريم، (ص: 34-36)

⁴⁸: تأملات في القرآن الكريم، (ص: 34-36)

Published:
August 4, 2025

الآية فقال له في خطبته يوم حجة الوداع. وكذلك صرح القرآن بأن هذا الدين قد قدر له البقاء والغلبة والإنتشار وأن سيبيلج ذروة المحمد والعزة، وتعلو كلمته ويمتد ضوؤه، ويتبين صديقه.⁴⁹

وبعد هذه التمهيد الموجز، يتوسع الشيخ في بيان هذه النقطة، فيقول:

وكل هذه الكفالات، والضمانات والنبوءات والإعلانات تدل بدلالة النص وإشارته على أن هذا الدين هو رسالة الله الأخيرة، وحاجة البشرية كلها، على اختلاف العصور والأمصار وأن الله هو بالغ أمره فيه كره الناس ذلك أو أحبوه وسالمه الحساد والمعارضون أو حاربوه، وكل ما كان ذلك شأنه ووردت فيه هذه الأخبار الصادقة، والتحديات البالغة في كتاب لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه لا يقبل العقل السليم أن يقبل النسخ والتغيير أو يحتاج إلى نبي جديد ورسول مبعوث.⁵⁰

5: (إِنَّهُمْ فِتْنَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى. وَرَبَطْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا فَقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَنْ نَدْعُو مِنْ دُونِهِ لَهَا لَقَدْ قُلْنَا إِذَا شَطَطًا)⁵¹

هذه الآية تتحدث عن جزء من أصحاب الكهف وهم الشباب الذين هربوا من اضطهاد الدين والظلم الذي كان يمارس عليهم بسبب إيمانهم بالله الواحد وهم لجأوا إلى كهف في الجبل. والله سبحانه وتعالى يوضح حالهم في القرآن كيف زادهم هدي ودلهم وأرشدهم إلى الطريق الصحيح والإيمان القوي وربط على قلوبهم مما أدى إلى قوة إيمانهم وثباتهم على الحق ورفضهم للأصنام والعبادة غير الله. والشيخ الندوي يبين أن هذه الآية تظهر تطور مراحل الإيمان لدى أحاب الكهف بترتيب لطيف حيث بدؤوا بإنكار الدين السابق والأفكار الباطلة السابقة ثم الإيمان بالله تعالى واستجابوا لدعوته ثم تعمق إيمانهم وثباتهم عليه عندما واجهوا التحديات والاضطهاد وهذا يعكس النمو الروحي والثقافي الذي خضعوا له والذي أدى إلى تعزيز إيمانهم وإقامتهم على الحق كما يقول:

"إن خطوة هؤلاء الفتية المؤمنين الجريئة البطولية التي حطّوها ضد الديانة الشركية السائدة، والسلطة القوية القائمة، التي كان أكثر كبارهم وأقربائهم مؤلفين فيها متطفلين عليها: هي حقاً محل إكبار وإجلال. إن هذه الآية الكريمة تناولت مراحل إعتناهم للحق وإيمانهم واهتدائهم واستقامتهم وثباتهم عليه بترتيب لطيف خاص، وهو الترتيب الصحيح لمراحل الإيمان والدعوة المتسلسلة المترابطة.

⁴⁹ النبوة والأنبياء في ضوء القرآن الكريم، سيد أبو الحسن علي الندوي، دارالقلم دمشق 1991م، (ص:120)

⁵⁰ النبوة والأنبياء في ضوء القرآن الكريم، (ص:120-121)

⁵¹ سورة الكهف، آية: 13-14

Published:
August 4, 2025

ولقد صرحت الآية الكريمة بأنهم جرؤوا أولاً على نبذ دينهم السابق واعتناقهم الحق، وقبول الدعوة الدينية: (آمَنُوا بِرَبِّهِمْ) ثم زادهم الله هدي وثباتاً، ثم لما دخلوا مرحلة الإبتلاء والمحنة ربط الله على قلوبهم وهذه هي المراحل الطبيعية الشرعية التي يأتي معها نصر الله تعالى وتأنيده.⁵²

يعني الآية تبرز تجربة أصحاب الكهف كنموذج للإيمان القوي والثبات على الحق في وجه الاضطهاد، وكيف أن الله تعالى زادهم هدي وربط على قلوبهم، مما جعلهم يقفون بقوة وثبات على إيمانهم بالله الواحد ثم بعد هذه النكات القيمة يقول:

"إن كل آية في القرآن الكريم معجزة برأسها، ولكن هذه الآية لإشتمالها على بيان ترتيب عجيب دقيق لمراحل الإيمان والدعوة والثبات والاستقامة، وإعلان الحق، والصبر عليه: معجزة خاصة وترتيب رباني لطيف"⁵³

في موضع آخر، يشير مولانا الندوي رحمه الله إلى نقطة دقيقة ومهمة عند تفسير آيات سورة الكهف، حيث يؤكد أنه لفهم هذه الآيات بعمق، يجب أولاً استحضار البيئة الاجتماعية والثقافية التي كانت سائدة في شبه الجزيرة العربية آنذاك. ويضيف أن إدراك الظروف المحيطة بذلك الوقت، وكذلك النظر في تفاصيل هذا الحدث العظيم، يفتح آفاقاً لفهم أوسع وأعمق لهذه الآيات، مما يساعد على استنباط معاني ودلالات قد لا تظهر للوهلة الأولى حيث يقول:

"وقد جاءت هذه القصة في أوامها ومكانها، فقد كان المسلمون في مكة يواجهون نفس الأوضاع التي واجهتها الفتية في أوج الاضطهاد والاستبداد في عهد القياصرة"⁵⁴

فبعد هذا التمهيد يقول:

"هناك ينزل الوحي، ويقص عليهم القرآن قصص الفرج بعد الشدة، واليسر بعد العسر، والعزة بعد الذل، ونزول نصر الله من فوق سبع سماوات خارجاً للعادة، مكذباً لكل قبياس، هادماً لكل تجربة، محيراً لكل عقل، كيف أدال الله قلة مؤمنة وحفنة من البشر، مجردة من كل قوة وسلاح، من الكثرة الكاثرة والكافرة الفاجرة الظالمة الغاشمة، المالكة للحول والطول، المستحوذة على القوى والطاقتات،

⁵²: تأملات في القرآن الكريم، سيد أبو الحسن علي الندوي، دارالعلم دمشق 1991م، (ص: 61-62)

⁵³: تأملات في القرآن الكريم (ص: 61-62)

⁵⁴: تأملات في سورة الكهف، سيد أبو الحسن علي الندوي، دارالعلم دمشق 1991م، (ص: 45)

Published:
August 4, 2025

والذخائر، والوسائل، وكيف أخرج الحي من الميت، والميت من الحي، وأطلع النور من الظلمة، وجعل من الأعداء القتالين الذين ولغوا في الدماء وأكلوا الأكباد، حماة حارسين، وآباء مربين، وكيف ورث الإبن المؤمن الأب الكافر.⁵⁵

6: (أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَى. وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَى. وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَى. فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ)⁵⁶

وفي تفسير سورة الضحى يوضح الشيخ الندوي ما ذا تتوقع من طفل يموت يفقد والده وهو في سن الحمل ثم تفارقه أمه وهو ابن ست سنوات ثم يفقد جده وهو ابن ثمان سنوات وعلى الرغم من ذلك، فإنه لا يجد من البؤس والشقاء وما يتحملة الأيتام من ظلم وجفاء أي شيء؟ هذا من فضل الله سبحانه ولطفه وإيوائه وولايته وكفالاته؟ " فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ "⁵⁷ ما أجمل موقعه بعد قوله " أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَى "⁵⁸ فمن ذاق مرارة اليتيم بنفسه، يجب أن يكون له الشعور والمروءة ليستشعرها في غيره، فاليتم هو أكثر من يعرف خلق الله تعالى بحال اليتيم، ويعرف بما يذوقه ويتحملة، لأنه قد اجتاز هذه المرحلة أيضا. كما أن سيدنا موسى عليه السلام رعى لسيدنا شعيب عليه السلام غنمه عشر سنوات ليعلم حقيقة ما يكابده بنو إسرائيل من خدمة فرعون ومعاناة الأعمال الشاقة ويشعر بألمهم وبؤسهم ويعلم أنه إذا كانت هذه خدمة نبي خير عباد الله، فكيف بخدمة جبار شر عبد الله وأقساهم، فتسمو نفسه إلى تخليصهم وتحريرهم لأنه نشأ في أكبر نعمة ورفاهة وراحة في قصر فرعون وحجره، لا يعرف ما يكون عليه العبيد والأرقاء والمستضعفون، وما يعانون من آلام الحياة.⁵⁹

7: (وَالْعَادِيَاتِ ضَبْحًا. فَالْمُورِيَاتِ قَدْحًا. فَالْمُغِيرَاتِ صُبْحًا. إِلَى...إِلَى...إِنَّ رَبَّهُمْ بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّخَبِيرٌ)⁶⁰

وفي سورة العاديات يشير الشيخ إلى وجه لم يسبق إليه في الحكمة من القسم بالخيول وربطها بمحور السورة "إن الإنسان لربه لكنود" فيقول: إن الله سبحانه تعالى يصف الخيل في هذه السورة بأوصافها المميزة ويذكر لها أعمالا تبرز وفائها لسيدها وكل وصف وأعمال الخيول التي ذكرها الله تعالى في هذه السورة ترتبط بنقطة أساسية وهي " الوفاء والفداء والإيثار لسيدها " بأنها تغدي نفسها

⁵⁵ : تأملات في سورة الكهف، (ص: 45-46)

⁵⁶ : سورة الضحى، آية: 6-9

⁵⁷ : سورة الضحى، آية: 9

⁵⁸ : سورة الضحى، آية: 6

⁵⁹ : أنظر رسالة "منهج أبي الحسن الندوي في التفسير" للشيخ أسد دكتور مصطفى مسلم أستاذ بجامعة الشارقة (ص: 8)

⁶⁰ : سورة العاديات، آية: 1-11

Published:
August 4, 2025

وتتعب من أجل راحته ونجاحه وترمي بنفسها في الخطر، وفي الماء والنار حتى تموت لحياته ولا تعرف لنفسها ولا لحياتها حقا وتصبر على الجوع والعطش، تعدو ضبحا وتوري قدحا وتغير صبحا فتثير به نعقا وتوسط به جمعا. والخيل تفعل كل هذا مع ربا وهو ليس لها رب والذي هو من غير جنسها والذي يستخدمها أكثر مما يخدمها وهو الحيوان غير الناطق غير العاقل، فكيف الإنسان العاقل الشريف مع ربه الحقيقي وولى نعمه، "إن الإنسان لربه لكنود" فلإنسان عبرة في دواجنه وفي عبيده المسخرة. فهذه السورة قد اشتملت على بيان المرض وهو قول تعالى: "إن الإنسان لربه لكنود" وعلى علته وهو قوله تعالى: "وإنه لحب الخير لشديد" وعلى علاجه وهو قوله تعالى: "أَفَلَا يَعْلَمُ إِذَا بُعْثِرَ مَا فِي الْقُبُورِ.....الخ" فإن الإيمان بالآخرة وتذاكر الموت يكشف الغطاء عن العين، ويفيق من سكرة الدنيا كما قال النبي ﷺ: "أكثرُوا من هاذم اللذات الموت".⁶¹

8: طَسَمَ. تِلْكَ ءَايَةُ الْكِتَابِ الْمُنِينِ. لَعَلَّكَ بِنَجْعِ نَفْسِكَ أَلَّا يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ.⁶²

في هذه الآية الكريمة نجد تسليمة عظيمة للنبي صلى الله عليه وسلم، الذي كان يتألم ويحزن حزنا شديداً على قومه لعدم إيمانهم بالحق الذي أنزل عليه. فكان الله سبحانه وتعالى يخاطبه بلطف ورحمة، موضحاً له أن مهمته هي البلاغ، وأن الهداية بيد الله وحده. كلمة "بنجع" تعبر عن شدة تأثر النبي صلى الله عليه وسلم، وكأن الله يقول له: لا تجهد نفسك بالحزن، فما عليك إلا أن تؤدي الرسالة، والله يتولى قلوب الناس. هذه الآية ترسخ مبدأ الصبر في مواجهة الإعراض، وتؤكد أن على الداعي إلى الله أن يؤدي واجبه دون أن يرهق نفسه بالنتائج، لأن القلوب بين يدي الرحمن يقبلها كيف يشاء يقول الشيخ الندوي في ذيل هذه الآية:

إن ما جبل عليه سيد المرسلين وخاتم النبيين ﷺ بوجه خاص والأنبياء والآخرين عليهم السلام بوجه عام من تفجع للإنسانية وما فطروا عليه من إنطباع تألمي برؤية الشيء الفاسد لم يتوافر لكل إنسان بل قد يناله أفراد قلائل من الناس، وأن الانبياء كانوا متمكنين من أعلى درجة فيهم فأنهم ينظرون إلى هذه الحقيقة أن الله تبارك وتعالى يُعصي ويُكفر ويُبلى عليهم كلام الله ولا يؤثر فيهم فأنهم يتأثرون بهذا المنظر تأثراً لا يمكن التعبير عنه في صورة من الألفاظ. فاستعمل له القرآن الكريم كلمة جامعة ليست فوقها كلمة. وهي: باخع، معناه ألا يمكن لك أن تصبر على هذا. " أَلَّا يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ " كأن الله تعالى يقول: أنظروا أنا الخالق، أنا الرحمن والرحيم

⁶¹ : أنظر رسالة "منهج أبي الحسن الندوي في التفسير" للشيخ أسد دكتور مصطفى مسلم أستاذ بجامعة الشارقة (ص: 9-11)

⁶² :سورة الشعراء، آية: 1-3

Published:
August 4, 2025

والرزاق وقد رزقناكم كل نوع من النعم وأنا أرى أن الناس يكفرون علنا ويرتكبون المعاصي ولا يذكرون الله تعالى بل يستهزؤون به وأنا أحلم عنه وأصفح. فكان الله قام بتسليية النبي ﷺ مخاطباً إياه: لا بد لك أن تتحمل.⁶³

بهذه الدقائق وتلك النفحات يسير الشيخ أبو الحسن الندوي في فهم وتفسير كتاب الله، وليته فسر القرآن الكريم كاملاً، إذن لكان شيئاً عظيماً، ولكن تواضع الشيخ رحمه الله، وقناعته بأن المفسرين السابقين قد قاموا بمهمة البيان والتوضيح لآيات الكتاب المبين. فانصرف إلى قضايا المسلمين العامة والخاصة لينشر دين الله، وينافح عنه في بلاد المسلمين وخارجها، فجزاه الله عن الإسلام والمسلمين خير ما يجازي داعية على جهده وسعيه.

يتبين من خلال الآيات والتفاسير والنصوص النقدية التي تناولها الشيخ أبو الحسن علي الندوي رحمه الله تعالى أنه شخصية ذات تأثير بالغ وفهم دقيق في العلوم الإسلامية، لا سيما ما يتصل منها بالقرآن الكريم. ويمكن تلخيص أبرز معالم منهجه التفسيري في النقاط الآتية:

1. الإلتزام الصّارم بالنصوص القرآنية والسنة النبوية باعتبارهما المصدرين الأساسيين للفهم والاستنباط.
2. الاستدلال بالنصوص الشرعية بطريقة دقيقة وسياقية، تعكس فهماً عميقاً ومقاصدياً.
3. توظيف الأمثلة الواقعية والتاريخية وتجارب الأمم لتقريب المفاهيم الدينية والفقهية إلى الأذهان.
4. اعتماد التحقيق العلمي والمنهج الاستقرائي، والرجوع إلى المصادر الأصلية الموثوقة.
5. التحلي بالأدب الجمّ وعقّة اللسان والقلم، حتى في الرد على الخصوم والمخالفين.
6. الإمام الواسع بالثقافات والحضارات المختلفة، ممّا أتاح له فهماً أعمق لمجريات الواقع ومقارنتها بمضامين الوحي.
7. التميز في دقة الاستنباط، وعمق التحليل، والوصول إلى نتائج متقدمة في فهم النصوص، تفرّد بها بين كثير من المفسرين المعاصرين.

رحمه الله رحمة واسعة وطيب ثراه وجعل مثواه الجنة. آمين

⁶³: تأملات في السورة الشعراء، سيد أبو الحسن علي الندوي، المجمع الإسلامي لكتاؤ 2019م، (ص: 20-22)